الفصل الرابع

التربية العربية الاسلامية

التربية العربية الاسلامية مرت بمراحل وادوار متعددة قسمها بعض المعنيين بالتاريخ التربوي العربي الى خمسة مراحل ، وفقاً لما شهدته الامه العربية الاسلامية من تقدم وازدهار خلال فترات الخلافة الاسلامية ، بدءاً بعهد الخلفاء الراشدين وانتهاء بمرحلة انهيار الدولة العربية الاسلامية وتداعيها على اثر الغزو الهمجي الذي قام به المغول بقيادة سفاحهم هولاكو .

ولاشك ان الغزوات التي تعرضت لها الامة الاسلامية استنزفت الكثير من طاقاتها وقلصت من ابداعاتها الحضارية ولكنها لم تلبث طويلاً حتى نهضت لتستأنف دورها الحضاري القيادي وترفد البشرية بالكثير من المنجزات الحضارية لذا شعر المسلمين بضرورة التعاضد والتأزر لصد الهجوم الاجنبي فالتحموا مع المغول في معركة (عين جالوت) ٦٥٨ هـ – ١٢٦٠م وهزموهم ودفعوا اخطارهم واحتفظت الامة الاسلامية بكيانها السياسي وتراثها الفكري .

لهذا قسمت التربية العربية الاسلامية الى مراحل هي :

- مرحلة عصر ما قبل الاسلام
- مرحلة ظهور الدعوة الاسلامية
- مرحلة انتشار الدين الاسلامي في عهدي الخلفاء الراشدين والامويين خارج الجزيرة العربية .
- مرحلة العصر العباسي العصر الذهبي .
- مرحلة التدهور والانحلال .

وبما ان المراحل الاربعة الاخيرة تمت خلال انتشار الدعوة الاسلامية وان المرحلة الاولى كانت في فترة ما قبل الاسلام (الرسالة الاسلامية السامية) لذا قسمت هذه المراحل الخمسة الى مرحلتين لكل منهما طابعها الخاص :

١- مرحلة التربية في عصر ما قبل الاسلام .

٢- مرحلة التربية العربية في العصر الاسلامي .

وكانت المرحلة الثانية متممة ومكملة ومهذبة ومعدلة لبعض القيم التي كانت سائدة في المجتمع العربي انذاك وفي ضوء تعاليم السماء وقيمها وبذلك اصبحت التربية العربية الاسلامية منظمة ومنسقة وحققت الاهداف التي جاءت من اجلها ، وبلغت الامة العربية قمة التقدم فازدهرت العلوم والمعارف ونشطت حركات التأليف والترجمة ومن الى اللغة العربية وانتشرت المدارس وتعددت

انواعها ، ونال بعضها شهرة علمية عالية كما ادى ذلك الى ظهور علماء اشتهروا بانواع مختلفة من العلوم والفنون والاداب واللغة .

ومن اجل ان تتكون لدينا صورة واضحة عن طبيعة التربية العربية ، لابد من التطرق الى اطارها والمبادئ والاسس التي ارتكزت عليها .

التربية العربية في مرحلة ما قبل الاسلام

امتازت العربية في عصر ما قبل الاسلام ببساطتها وكان الهدف الاساس الذي تنشده هذه التربية هو اعداد جيل قادر مؤهل للحصول على ضروريات الحياة وحفظها ، وبحكم البيئة الصحراوية للجزيرة العربية ، سادت التربية التي تستند الى التقليد ومحاكاة الاخرين والتدريب على القيام باعمال الكبار .

من اجل تمكين الفرد من كسب العيش والمحافظة على حياته بالدفاع عن نفسه وعائلته وقبيلته ضد اعدائه من بني جنسه ضد الوحوش الضارية . احتلت الاسرة البدوية دوراً متميزاً في عملية التربية .. وكان للعشيرة الدور البارز والواضح في هذه المهمة والتي يمكن اعتبارها صورة مكبرة للاسرة ، اذ تقوم العشيرة والاسرة بتدريب اطفالها منذ نعومة اظافرهم على بعض الفنون والصناعات الضرورية لحياتهم كرمي الرماح والسهام واعداد ادوات الحرب ، وعمل الاواني وغزل الصوف وحياكة الملابس وتربية الماشية ، كما يتدرب الاطفال على المبارزة وركوب الخيل ، وكانت تلقى على مسامعهم بقصص الغزوات والحروب بين القبائل ويشجعون على حفظ الشعر والنثر ، لما لهما من اهمية كبيرة في حياتهم .

ولم يكن لدى عرب البادية معاهد او اماكن مخصصة للتعليم بل كانت المحلات العامة والمجالس والاسواق والبيوت هي الاماكن التي يحصل بها الناس على بعض العلوم والمعارف التي كانت سائدة انذاك .

وبذلك يشب الطفل متشبعاً بما لدى قبيلته من عادات وقيم وعرف بصورة غير مباشرة فيتمسك بها ولا يتنازل عنها حتى اذا كلفته حياته احياناً .

اما التربية عند عرب الجزيرة الحضر تختلف عن التربية في البدوية من حيث اساليبها ووسائلها واهدافها لذا كان هدف التربية الحضرية هو تخريج جيل قادر على الطاعة وممارسة المهن المتنوعة مثل الطب والهندسة والبناء والنقش والنجارة وغيرها لهذا كانت التربية في هذا العصر تستهدف لبث العادات الفاضلة وغرس الصفات الخلقية التي اشتهر بها العرب منذ القدم .

امتازت التربية لدى الحضر بكونها منظمة تنظيماً يتفق مع المستوى العمري للدراسة اذ يدرس الاطفال في المرحلة الاولى بعض المواد الدراسية المحددة كالهجاء والمطالعة والحساب وقواعد اللغة وهي تشبه المرحلة الابتدائية وفي المرحلة الثانية الطلبة يدرسون العلوم المتنوعة المناسبة

ومستوى قدراتهم العقلية وقابلياتهم واستعداداتهم مثل الهندسة العملية وعلم الفلك والطب وفن العمارة والنفس والاداب والتاريخ وهي تشبه مرحلة التعليم العالي .

اما التدريس لدى الحضر فقد اتخذ طابع التدريس الفردي اذ كان المعلم يخصص جزءاً من وقته لكل تلميذ من تلاميذه فيعلمه من علمه ، وقد تنوعت المدارس ومعاهد التعليم ، اضافة الى وجود الدور التي يرتادها طالبوا العلم ورواده والتي سميت بـ(دور العلم) .

لقد اكتسب التربية العربية في مرحلة ما قبل الاسلام سمات وصفات وفدت اليها من البادية ومن حضارات اخرى التي كانت في اوج عظمتها وازدهارها في بعض البلدان كحضارة تدمر وسبأ ، وبظهور الاسلام تطورت التربية العربية واتخذت مساراً جديداً استوحى من مبادئ وقيم الدين الاسلامي الحنيف .

التربية العربية بعد ظهور الاسلام

للتربية دور بارز في حياة الاسلام الذي كان يدعو الى العلم والتربية وقد تناول القرآن الكريم العلم والعلماء بالمديح والاهتمام والتثمين ولقد تناولت الاحاديث النبوية الشريفة للنبي محمد (ﷺ) للعلم والتربية والتعليم وقد امتاز العصر الاسلامي بالنماذج التعليمية والتربوية الرائعة في مختلف مراحله .

وبما ان التربية العربية بعد ظهور الاسلام امتدت لاكثر من ستة قرون وعلى غالبية الارض المسكونة في الكرة الارضية ، لهذا انعكست المبادئ والقيم التي جاءبها الاسلام على التربية العربية والدعوة الى العلم والتعلم فأول آية نزلت على النبي محمد (ﷺ) في قوله تعالى (أقرأ بأسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم) . لذا اوجب على المسلمين الاهتمام بهذا الامر والعمل على نشره في ارجاء الارض جميعاً ، لما له من أهمية في حياتهم في الدنيا والاخرة .

واكد القرآن الكريم في آيات كثيرة على العلم والتعليم واهميته وضرورته وبين فضل العلم بقوله تعالى (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) وقوله تعالى (فأسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون) وقوله تعالى (يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات) وهناك الكثير من الايآت القرآنية الكريمة التي تمجد العلم واهل العلم .

وكما ان النبي محمد (ﷺ) أكد على أهمية العلم والأهتمام به وضرورة التعلم بأحاديث نبوية شريفة فقد قال (ﷺ) (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) وبهذا الحديث اوجب الرسول (ﷺ) تعلم العلم واعتبره فريضة ينبغي على المسلمين والمسلمات تأديتها في ارجاء البلاد الاسلامية وحث النبي (ﷺ) طلب العلم منذ الصغر ونعومة الاظافر حتى الشيخوخة ونهاية

العمر عندما قال (ﷺ) (اطلب العلم ولو كان في الصين) وكذلك اكد الحبيب (ﷺ) وهو يناجي الامة بالعلم والتعلم بقوله : (لاخير فيمن كان من امتي ليس بعالم ولا متعلم) واعطى (ﷺ) للعلم منزلة اعلى من العبادة بقوله : (مجلس فقه خير من عباده ستين سنة) واكد على التواضع والاحترام عندما قال (تعلموا العلم وعلموه للناس ، وتعلموا الوقار والسكينة ، وتواضعوا لمن تعلمتم منه العلم وتواضعوا لمن علمتوه العلم ولا تكونوا جبابرة العلماء)

لذا فان الآيات القرآنية الكريمة والاحاديث النبوية الشريفة التي سبق ذكرها تؤكد لنا بان الاسلام دين العلم والتعلم وقد حث على تحصيل العلم بشتى انواعه وصنوفه ، ولم يقتصر على علم الدين فحسب بل عني المسلمون بدراسة اللغة والتاريخ والجغرافية والفيزياء والكيمياء والهندسة والفلك وغيرها .

وقد تفانى المسلمون في نشر التعليم بفضل الاسلام وحارب مظاهر التربية الجاهلية وماكان مألوفا لديهم من عادات وتقاليد ... وشجع في الوقت نفسه بعض الصفات والسجايا الحميدة كالشجاعة والكرم والوفاء ، ونظراً للمكانه الرفيعة التي احتلها العلم والتعلم عند المسلمين فقد روي ان الرسول (ﷺ) كان يطلق سراح الاسرى المتعلمين من الكفار اذا قاموا بتعليم عشراً من المسلمين الاميين القرآءة والكتابة .

مراحل التربية الاسلامية

مرحلة الدعوة الاسلامية

عندما بدء ظهور الأسلام وانتشاره في شبه الجزيرة العربية ، بدأت مرحلة الدعوة الاسلامية وامتازت فيها التربية بالبساطة وعدم التعقيد ، وقد انصب الاهتمام على القراءة والكتابة فقط بالدرجة الاولى ، وكان القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد المعتمد في عملية التعليم ولم يكن الفكر التربوي في هذه المرحلة منصباً او مقتصراً على الناحية التربوية الصرفة ، بل امتزج هذا الفكر بالفكر السياسي والأقتصادي والأجتماعي والتأريخي مما يشكل الاطار العام للأيدلوجيا الأسلامية واستمر هذا المسار الفكري في عهد الخلفاء الراشدين .

ومرت مرحلة الدعوة الاسلامية بـ (دورين)

أ- **الدور السري**

اختار الله سبحانه وتعالى محمد (ﷺ) نبياً ورسولاً وأمره ان يدعوا الناس للاسلام وعبادة الله الواحد الاحد وترك عبادة الاصنام ، فبدأ بتبليغ رسالة ربه سراً فاتصل بالمقربين منه فآمن به في هذه المرحلة من الدعوة (زوجته السيدة خديجة بنت خويلد (عليها السلام) وابن عمه الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) وصاحبه ابو بكر الصديق (رضي الله عنه) وزيد ابن حارثة ثم اخذ عدد من المسلمين يزداد تدريجياً باسلام عثمان بن

عفان (رضي الله عنه) وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وغيرهم من الصحابة .

وكان الرسول (ﷺ) والمسلمون الاوائل يجتمعون سراً للعبادة للحفاظ على سلامة الدعوة في (دار الارقم) واستمرت هذه الدعوة (٣) سنوات .

ب-الدور العلني

لما ازداد عدد المسلمين آمر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم محمد (ﷺ) ان يدعوا الناس علناً بقوله تعالى (وانذر عشيرتك الاقربين) .

وبذلك اصبحت الدعوة الاسلامية علنية فبدأ الرسول (ﷺ) بتنفيذ امر ربه واتصل بالناس واخذ يشرح لهم ضلال معتقداتهم ويدعوهم لعبادة الله سبحانه وتعالى واجتناب الفواحش واتباع سبل الخير والفضيلة .

وعندما تمتعت الدولة العربية الاسلامية بنوع من الاستقرار السياسي وبعد ان قاربت الفتوحات الاسلامية نهايتها في عهد الامويين ، اتجه المسلمون الى الثقافات والحضارات الموجودة لدى البلاد المفتوحة ، وبدأت نهضة علمية شاملة .

كانت العلوم الدينية كالقرآن الكريم والتفسير اساساً لها ، كما اهتم الأمويين بالعلوم النقلية المتصلة بالقرآن الكريم كالحديث واصول الفقه والتفسير اضافة الى اهتمامهم بعلم اللغة والنحو والبيان والادب .

وظل القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة هي الاطار الفكري الذي ينظم ذلك الفكر التربوي المتناثر في وصايا الخلفاء لمؤدبي ابنائهم .

واستمرت هذه المرحلة حتى بداية تأسيس الدولة العباسية في العراق .

مرحلة الازدهار والتقدم

بعد اتمام المسلمين فتوحاتهم ، وأكملوا نشر الدعوة الأسلامية في البلاد المفتوحة وطبقوا التعاليم والقيم السماوية التي جاء بها الدين الجديد في المجالات كافة ، حظيت الدولة الاسلامية بنوع من المركزية والتوجيه المتكاملين في أدارة الأمصار العربية ، وعند ذلك انصرف الخلفاء والأمراء والقادة المسلمون الى نشر العلم والمعرفة بين جميع المواطنين دون تفريق او تمييز حتى بلغ النشاط الفكري درجة من الرقي والتقدم لم يبلغها من قبل وذلك في القرن الرابع الهجري .

ونتيجة لاحتكاك المسلمين الفاتحين بثقافات البلدان المفتوحة تم تلقيح الثقافة العربية بثقافات اليونان والرومان والهند ، وقد اقتبس المسلمون نتيجة ذلك اموراً كثيرة تتعلق بجوانب مختلفة من العلوم والفنون كان لها الأثر الكبير في تطور الحضارة العربية ورقيها .

ومن العوامل التي ساعدت على انتشار العلوم في هذه المرحلة (اتساع صناعة الورق بعد ان كان العرب قبل الاسلام يكتبون على الرق وعلى الحجارة وعلى الجريد ، وكذلك كان للهيئات الحاكمة أثر كبير في تشجيع العلم اذ كانت تصرف رواتب للطلبة لتغطية نفقات المعيشة والسكن وتوفير ما يحتاجه الطالب من لوازم وكتب والمصادر الاخرى . أمتاز الفكر التربوي في هذه المرحلة بالشمول واتساع النظرة والعمق والاصالة ، ولم يكتف العلماء المسلمون بدراسة علم واحد فقط ، بل طرقوا ابواب العلوم المختلفة .

فالعلوم العقلية التي لم تحظ بنصيب واف من العناية والاهتمام آبان حكم الامويين اخذت بالتقدم والازدهار وبلوغ اوج عظمتها في عصر العباسين ، ومن هذه العلوم الطب والفلسفة والرياضيات والطبيعة والكيمياء وغيرها .

وامتاز الفكر التربوي في هذه المرحلة وامتازت العقلية العربية بسمات علمية وقيام العلماء العرب بالابحاث والتجارب المتنوعة والتي أدت ألى نيل أهتمام الخلفاء ورعايتهم وأستخدمت نتائج أبحاثهم وتجاربهم في ميادين متعددة كالزراعة والصناعة والملاحة والتجارة والصحة .

مرحلة التدهور والانحلال

خطت التربية العربية الاسلامية خطوات ايجابية متطورة وواسعة وأحرزت تقدماً مذهلاً في العلم وأنتشار العلوم والمعارف في أرجاء البلاد الأسلامية .. وارتفعت راية الحضارة العربية عالياً وبلغ صيتها أرجاء الأرض وأشتهار العرب المسلمين بالعلم والفنون ، ولكن حدث نوع من التعثر نتيجة مجيء السلاجقة الأتراك الى الحكم وأهتمامهم الكبير بالنواحي الحربية وأهمالهم للعلوم الطبيعية والفلسفية ومحاربتهم لها كأدت ان تتوقف عن اتمام مسيرتها التاريخية .

اضافة الى ظهور قبائل المغول في اواسط اسيا في القرن (الثالث عشر ميلادي) وقيامها بالهجوم الوحشي على البلاد الاسلامية وقضائها على الخلافة العباسية في بغداد عام (١٢٥٨)م فحلت النكبة في جميع ارجاء الارض العربية لما امتاز به هذا الغزو من همجية وقسوة اسفر عن سقوط الخلافة العباسية على يد هولاكو .. مما ادى الى تحطيم معالم الثقافة العربية الاسلامية بجانبيها الديني والدنيوي في بغداد وما جاورها من البلدان الاسلامية ، مما ادى الى ضعف الوحدة الفكرية بين العرب والمسلمين في مختلف ارجاء البلاد الاسلامية .

وبذلك سادت فترة مظلمة اختفت فيها معالم الحضارة العربية كلياً ، ادت الى معيشة السكان القلقة وحالة من التوتر اضافة الى الجهل والتخلف وهذا انتكاس لراية العلم والمعرفة بعد ان كانت خفاقة ترشد جميع الى ابواب العلم وطرق الخير .

وكما اسلفنا في البداية شعور العرب المسلمين بضرورة التعاضد وشد السواعد لصد هذا الهجوم الذي يريد النيل من حضارتنا وتراثنا وعلمنا فالتحموا مع المغول في معركة سميت (عين جالوت) وهي الفاصلة وهزموهم ودفعوا اخطارهم واحتفظت الامة بكيانها السياسي وتراثها الفكري .

الملامح العامة للتربية العربية الاسلامية

تعتبر التربية الخلقية هي الاساس الذي استندت اليه برامج التعليم الاسلامية لذا اتفق واجمع الفلاسفة المعنين بهذا الشأن بان التربية الخلقية هي روح التربية الاسلامية ، واعتبر الغرض الأسمى لتربية الاسلامية من حيث تهذيب الخلق وتربية الروح بطرق متعددة .

ومن اهم الملامح العامة التربية الاسلامية

١- تاكيدها على مبدأ تكافؤا الفرص التعليمية ... مكفوله للفقير والغني على حد سواء (ان الفقر لم يقف عائقاً امام الراغب في العلم او الساعي لارتشاف المعرفة . وكانت ابواب المدارس مفتوحة للناس جميعاً . وعناية خاصة بالطلبة الموهوبين .

٢- اتسمت بكونها تربية شاملة تتفق ونظرة الاسلام الشمولية الى الانسان لعنايتها بالتربية الدينية والخلقية والجسمية والعلمية ، دون تضحية باي نوع على حساب الاخر .

٣- تمتع المعلم بحرية كافية في اختيار مواد التدريس وطرائقه ، ومنح التلميذ حرية الاختيار للمعلم الذي سيتولى تعليمه وذلك لعدم وجود مناهج مفروضة على المعلم اوالطالب .

٤- التاكيد على الفروق الفردية بين الطلبة واخذها بنظر الاعتبار ومراعاتها عند التدريس .

٥- الاهتمام بالاطفال المتعلمين وميولهم واستعداداتهم وقابلياتهم .

٦- مساهمة العديد من المسلمين ببناء المدراس ورفدها بما لديهم من كتب ومخطوطات نادرة .

٧- استخدم المسلمون نظام الحوافز والضوابط في التعليم ، تكافئ المتفوقين وعقوبات ادبية مثل العتاب والتوبيخ والمادية مثل الضرب والسجن .

٨- منحت المرأة التعليم أسوة بأخيها الرجل وهو حق من حقوقها .

٩- بث العلم من اجل الثواب وليس من اجل الكسب المادي او الثراء .

١٠- اعتبرت تربية علمية يمارس فيها المتعلم ما تعلمه .

١١- قامت بالانتفاح على معالم الحضارات فاحتضن الاسلام جميع التي ورثها من تلك الحضارات لخدمة ابناءه في المؤسسات التربوية .

١٢- تأثرت بنظم التعليم ألاجنبية وعمل المسلمون على تطوير هذه النظم بما يتفق ومتطلبات المجتمع العربي الاسلامي وحاجاته الواقعية .

ب-المدرسة النظامية

تعتبر المدرسة النظامية في بغداد من المدارس التي لها منزله رفيعه في نفوس المسلمين باعتبارها اول مؤسسة علمية في الاسلام وأختصت هذه المدرسة بتعليم الفقه وهي اول مدرسة رسمية اعترفت بها الدولة وهيئ فيها اسباب العيش واصبحت نموذج المدارس المسلمين وقد درس فيها نخبة من العلماء والمشاهير امثال الامام الغزالي لمدة اربعة سنوات واوفد اليها طلبة العلم من أرجاء البلاد الاسلامية لينهلوا من منابع العلم والمعرفة . وهي المدرسة التي اسسها (نظام الملك) السلجوقي عام ٤٥٧هـ .

ج- المدرسة المستنصرية

وهي المدرسة التي بناها الخليفة العباسي المستنصر بالله في بغداد عام (١٢٣٤)م وكان الغرض الرئيسي لبناءها هو تدريس الفقه ودراسة المذاهب الدينية الاربعة وقد زودت هذه المدرسة ساعة من نوع (المزوله) وجهزت بالحمامات والمطابخ كما كان فيها مستشفى وداراً للكتب .

المدرسة النورية الكبرى

انشأ نور الدين زنكنه العديد من المدارس التي انتشرت في مدن سوريا وكانت المدرسة النورية اشهر هذه المدارس وقد ضمت هذه المدرسة مرافق عديدة منها الايوان وقاعة المحاضرات والمسجد ومساكن الطلبة .

وانشأ الايوبيون مدارس عديدة في كل من مصر وبيت المقدس ودمشق ، وقد اشار (ابن جبير) في احصائيته عن عدد المدارس في الدول العربية الاسلامية ففي بغداد ما يقارب من (٣٠) مدرسة وفي دمشق نحو (٢٠) مدرسة وفي الموصل (٦) مدارس وفي حلب مدرسة واحدة .

٤- المكتبات

ان الحديث عن المكتبات في مجال طلب العلم كانت طريقة القدماء في نشر العلم ولما كان يتعذر على غير الاغنياء اقتناء الكتب ، لذا لجأ من احب تعليم الناس الى انشاء مكتبة ليجمع فيها انواع الكتب ويفتح ابوابها لهم ، لان الكتب هي نواة الجامعات الاسلامية مثل بيت الحكمة في بغداد ودار الحكمة في القاهرة .

وقد اعتنى الخلفاء المسلمون بالكتب العربية ونشرها بين الناس وأنشاء الخزائن التي تضم النفائس من الكتب العربية والدفاتر والسجلات كما عنوا بالحصول على كتب العلم القديمة لتكون مرجعاً لهم ولأولادهم وعملوا على تزويد المساجد في كل اقليم بالخزائن التي تضم المصاحف وكتب العلم وقسمت المكتبات التي ظهرت في العالم الاسلامي الى ثلاثة اقسام .